كلمات خير من الذهب والفضة

الدعاء أساس العبادة، وسر قوتها وروح قوامها؛ لأن الداعي إنما يدعو الله وهو عالم يقيناً أنه لا أحد يستطيع أن يجلب له خيراً أو يدفع عنه ضراً إلا الله جل وعلا، وهذه هي حقيقة التوحيد والإخلاص، ولا عبادة أعظم منهما.

الدعاء تعريفه: قال الخطابي: "معنى الدعاء استدعاءُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ.

قال رسول الله -ﷺ-: (الدُّعاءُ هوَ العبادةُ) ثمَّ قالَ: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غَافِرٍ: 60]. صحيح الترمذي

الدعاء هو العبادة: لما يظهر فيه من العبد الذل والانكسار والفقر، ولما فيه من قطع العلائق عن الخلائق، واعتماد القلب على الله والاستعانة به وتفويض الأمور إليه وحده - سبحانه وتعالى -، بل إن الله ليغضبُ حين يترك العبدُ سؤالَه؛ قال -ﷺ-: "مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ عليه". صحيح الترمذي

الدعاء سببٌ لانشراح الصدر وزوال الغموم، وتفريج الهموم، قال -ﷺ-: (مَن نزلَت بهِ فاقةٌ فأنزلَها بالنَّاسِ لم تُسَدَّ فاقتُهُ، ومَن نزلَت بهِ فاقةٌ فأنزلَها باللَّهِ فيوشِكُ اللَّهُ لَه برزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ) صحيح الترمذي

وقال -ﷺ-: (إنَّ الدُّعاءَ يَنفَعُ ممَّا نزَل وممَّا لم يَنْزِلْ، فعلَيكم عِبادَ اللهِ بالدُّعا). صحيح الترمذي.

الدعاء أنيسُ المؤمنِ عند اشتداد الكُرَبِ ونزولِ المصائب، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم والبلايا بمثله، وقال -ﷺ-: (لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ) صحيح الترمذي

وقال -ﷺ-: (من سره أن يستجيبَ اللهُ له عندَ الشَّدائدِ والكُرَبِ، فلْيُكثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخاءِ) صحيح الجامع

قَالَ تَعَالَى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) [الْبَقَرَةِ: 186]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ». صحيح الترغيب.

يحكى عن بعض العارفين: "دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها، فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام، فلم أتمكن من الدخول، حتى جئت باب الذل، والافتقار، فإذا هو أقرب باب إليه، وأوسعه، ولا مزاحم فيه، ولا معوق، فما هو إلا أن وضعت قدمي في عتبته: فإذا هو سبحانه قد أخذ بيدي، وأدخلني". ابن القيم مدارج السالكين

قال ابن القيم – رحمه الله -:"وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب".

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء ويدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه وهو سلاح للمؤمن".

وعندما سُئل الإمام أحمد رحمه الله كم بيننا وبين عرش الرحمن فقال: "دعوة صادقة".

إذاً الدعاء هو سلاح المؤمن الذي يصيب ولا يخيب أبداً: كما أخبر النبي-ﷺ-:"إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا". صحيح الأدب المفرد

مستعينين بالله، متوكلين على الله، سنشرح دعاء عظيم مبارك، في غاية الأهمية، فقد اشتمل على أعظم مطالب الدين، والدنيا، والآخرة، وفيه من جوامع الكلم التي لا تستقصيها هذه الوريقات لجلالة قدرها.

وهذا مما فضل الله ـ عز وجل ـ به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بأن أعطاه جوامع الكلم، اختِصارِ المعاني الكثيرةِ والفوائدِ الغزيرةِ في الألفاظِ القليلة.

أمر النبي -ﷺ- شداد بن أوس، والصحابة رضى الله عنهم بالإكثار من هذا الدعاء، ألفاظه قليلة، معانيه غزيرة فقال: ((يا شداد بن أوس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء الكلمات)) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة

عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبَاً سَلِيماً، وَلِسَانَاً صَادِقَاً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ". السلسة الصحيحة

وفي لفظ "إذا اكتَنَزَ النَّاسُ الدَّنانيرَ والدَّراهمَ فاكتَنِزوا هؤلاءِ الكلماتِ". صحيح ابن حبان

كنوز الأرض من الذهب والفضة وغيرها لا تبقى لأحد، تترك الانسان إما بزوالها عنه أو بزواله عنها، لكن الدعاء أثره باق وثمرته لا تنقطع لا يزال ينتفع منه العبد في دينه ودنياه وعاجله وآجله في حياته وبعد مماته.

ومما يدل على أهمية هذه الدعوات الطيبات أن النبي -ﷺ- كان يقولها في صلاته التي هي (أعظم العبادات)، اللهم إني أسألك الثبات...)) صحيح ابن حبان

قوله -ﷺ-:((فأكتنزوا))، أمر منه -ﷺ- (باكتنازها)؛ لأن نفعها دائم لا ينقطع في الدنيا، في الشدائد تفرج الكربات، في الرخاء تزيد الخيرات، وفي الآخرة لا تترك العبد حتى يدخل الجنة.

كما قال الله تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) [الكهف: 46]

وهذا هو الكنز الحقيقي الذي لا يفنى.

فتضمَّن هذا الدعاء المبارك على عدة مقاصد ومطالب جليلة في أعظم مهمات الدين، والمعاش، والمعاد، منها:

❶ سؤال الله تعالى الثبات على الهدى في كل الأحوال.

❷وسؤاله سبحانه التوفيق إلى صالح الأعمال.

❸والشكر على النعم والآلاء في الليل والنهار.

❹سؤاله إصلاح القلوب، والأركان.

❺والفوز بكل خير.

❻والسلامة من كل شر.

❼ومغفرة الذنوب في الماضي، والحال، والمآل.

❍ما الكنز: هو الشيء النفيس المدخر.

وهذا ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً الحوقلة، بأنها كنز

كما في الحديث الصحيح عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: "أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ". َصَححَه الأَلْبَانِي

الأدعية المباركة الطيبة، مدخرة لقائلها، فهي خير من كنوز الأرض، يرجوا العبد نفعها في حاله ومآله، في دنياه وآخراه.

شرح الدعاء:

قوله: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ)):

اللهم تعني: يا الله. الله هو: الاسم الجامع لكل أسماء الجلال وصفات الجمال لله الكبير المتعال وهو الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب، فهو الاسم الذي ما ذكر في قليل إلا كثره، وما ذكر عند خائف إلا أمّنه، وما ذكر عند همّ إلا كشفه، وهو الاسم الذي ما ذكر عند كرب إلا فرّجه، هو الذي تستمطر به الرحمات، والذي تستنزل به البركات، و تستجلب به الحسنات، وتقال به العثرات، و تدفع به السيئات، وهو الاسم الذي من أجله قامت الأرض والسماوات.

سؤال الله تعالى الثبات في الأمر: أَيْ الدَّوَامَ عَلَى الدِّينِ وَلُزُومَ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ في (الدنيا، والدين، والآخرة). ولا يكون الثبات على الدين إلا بالعلم (الدلالة والارشاد) ومصدره الكتاب والسنة و(بالتوفيق) من الله على العمل بما علم.

جاء التوجيه الرباني للمؤمنين بالثبات على الإسلام حتى الممات قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران:102].

قال تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [الحجر:99]

وقال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران: 103]

الثبات على التوحيد من أعظم النعم التي يجب المحافظة عليها والخوف من زوالها، فهي أكثرُ النِّعَمِ عُرضةً للزوال، فعن أنس بن مالك قال: "كانَ رسولُ اللَّهِ -ﷺ- يُكْثِرُ أن يقولَ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قَلبي على دينِكَ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ، آمنَّا بِكَ وبما جئتَ بِهِ فَهَل تخافُ علَينا ؟ قالَ : نعَم ، إنَّ القُلوبَ بينَ إصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ يقلِّبُها كيفَ شاءَ" صحيح الترمذي

وروى الترمذي عن شهر بن حوشب قال " قُلتُ لأمِّ سلمةَ: يا أمَّ المؤمنينَ ما كانَ أَكْثرُ دعاءِ رسولِ اللَّهِ -ﷺ- إذا كانَ عندَكِ؟ قالَت: كانَ أَكْثرُ دعائِهِ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ قالَت: فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما أكثرُ دعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ؟ قالَ: يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ ليسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ. فتلا معاذٌ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا "صحيح الترمذي

وما نرى من تغير أحوال بعض الناس من الهدى إلى الضلال، ومن الاستقامة إلى الانحراف، "إن بعض ما نراه من مظاهر الانحراف، ونشوئها عند بعض أصحاب النفوس التي كانت مستقيمة على طاعة الله دهراً من الزمن أمر مخيف، إنه أمر يدفعنا لأن نعيد حساباتنا، وأن ننظر في أنفسنا مرة أخرى، وأن نخشى على أنفسنا من الهلاك، أن نخشى على أنفسنا سوء الخاتمة «اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور ومن النقصان بعد الزيادة».

لذلك كان دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

وفي الحديث القدسي: "... يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ". صحيح مسلم

يقول ابنُ القيم رحمه الله: العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين.

واعلموا حبيباتي أنَّ من أخطر أسبابِ زوالِ الدين التعرُّضُ للفتن، ومن استشرف الفتن زلَّت به القدم، والحي لا يؤمن من الفتنة، يقول النبي -ﷺ- محذرا أمته: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُودا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ..." صحيح مسلم

ومن الفتن العظيمة التي حذرنا منها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد زلَّتْ بكثير من الناس:

فتنة النساء: يقول النبي -ﷺ-: "مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ"، فاختلاطهن بالرجال من أعظم الفتن.

قال ابن القيم رحمه الله:(ولا ريب أنَّ تمكينَ النساءِ من الاختلاطِ بالرجالِ أصلُ كلِّ بليةٍ وشرٍّ، وهو أعظمُ أسبابِ نزولِ العقوباتِ العامة).

⇦أكبر مخطط صهيوني لكسر شوكة المسلمين، خلع حجاب المرأة، وتغطية كتاب الله به، والرجل لا يعلم ما في الكتاب، ومنشغل بها، وبهذا تتابع البلايا والرزايا.

وكذلك الأموال والأولاد من الفتن: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:15]، لذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

وكذلك من الفتن الخطيرة التي تهدد الثبات:

التحايلُ لارتكابِ المحرم: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) [النحل: 116] النحل

⇦وهذا غيض من فيض، انظروا حال الأمة فتن كقطع الليل المظلم ..... ولا سبيل إلى النجاة من هذه الفتن إلا برحمةُ الله تعالى، ثم الأعمالُ الصالحة يقول رسول الله -ﷺ-: " بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا". صحيح مسلم

⌧فبدل من انشغال الأئمة بتطهير الأبدان، عليهم بتطهير القلوب، لا نقلل من أهمية طهارة البدن لأنه أصل في شريعتنا، فلا تقبل صلاة بدون وضوء، لكن ننبه لخطورة تلوث القلوب، فهي سبب غضب علام الغيوب.

قال النبي -ﷺ-: "لَقَلْبُ ابنِ آدمَ أشدُّ انْقلابًا من القِدْرِ إذا استَجْمعتْ غَلَيانًا" صحيح الجامع

وكان من دعاء النبي -ﷺ- في صلاته: "... وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ..."صحيح مسلم

⌧ومن يدعوا الله بالثبات الواجب عليه الحذر من عدو الله إبليس وجنوده طالما روحه في جسده: إبليس أعلن حربه الشعواء على الذريّة البشريّة: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ). [الحجر:39-40].

⌧فهي إذاً حربٌ شاملة ورقابةٌ دائمة للضحيّة تحرص على عدم ترك أي ثغرةٍ يمكن النفاذ منها: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [الأعراف:16-17].

⌧الواجب الاستعاذة بالله تعالى من حضور الشيطان في أمرٍ من الأمور كائناً ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، أو عند حضور الموت أو غير ذلك من جميع الشؤون. الإمام الشنقيطي

قال الله سبحانه وتعالى: (وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ) [المؤمنون: 97-98]

هذا الكنز العظيم ينفعك في اشد لحظة وأحوج ما يكون العبد [لهذه] الاستقامة والثبات، وانت في اضيق اللحظات عند الاحتضار من نزغات الشيطان وإغوائه، كان رسول الله -ﷺ- يقول:... وأعوذُ بكَ أن يتخبَّطني الشَّيطانُ عندَ الموتِ....). الترمذي

وذكر الإمام القرطبي أن أحد الصالحين حين احتضر، كان يُقال له: قل لا إله إلا الله، فكان يجيب: لا، لا! فلما أفاق وذُكر له ذلك قال: "أتاني شيطانان، عن يميني وعن شمالي، يقول أحدهما: مت يهودياً فإنه خير الأديان، والآخر يقول: مت نصرانياً فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا، لا".

وكثير ممن يثبت في السراء، ثم تأتي الضراء وتكشف له الوهن والضعف في ثباته.

أنظروا في ثبات بعض السلف الصالحين ، في الضراء ثباتهم كما في السراء ، عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لما حوصر من الأوغاد المجرمين، ومنعوا عنه الماء، في هذه الليلة التي قتل فيها ينام بعدما صلى ما شاء الله له أن يصلي، وقرأ من القرآن ما شاء الله له أن يقرأ؛ ورأى في منامه ، وكأنه دخل على رسول الله -ﷺ- ، وعنده أبو بكر، وعمر فقال: ارجع، فإنك مفطر عندي غدًا، فقال عثمان رضي الله عنه: لن تغيب الشمس هذا اليوم، والله إلا وأنا من أهل الآخرة ، وأمر عثمان رضي الله عنه بالسراويل أن تُعدّ له؛ لكي يلبسها ، لأنه خشي إن قُتل أن يتكشف ، وهو رضي الله عنه شديد الحياء، فلبس السراويل، ووضع المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ في

كتاب الله، وفتح باب داره للمجرمون فقتلوه ، و خالطت آيات القرآن دماء عثمان رضي الله عنه، ويقتل عثمان وهو يقرأ القران، يا لهذا الثبات !

بشارة الرحمن بتثبيت الصالحين في الدنيا، وفي لحظات الاحتضار وعند سؤال الملكين، وعند المرور على الصراط إلى أن يسكنوا جنات النعيم.

وقد جمع اللَّه تبارك وتعالى كل هذه الأمور، في قوله: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ"، ندعوا الله بالثبات على الدين والطاعة، والاستقامة على الهدى والتوحيد، والاخلاص لله تعالى في الدنيا والآخرة.

فتضمّنت هذه الدعوة الجليلة الثبات في كل الأحوال، والأوقات، والأماكن.

وقوله: ((وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ)):

العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، قال اللَّه تعالى:(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)

والعزم: هو قوة الإرادة وجزمها على الاستمرار على أمر الله، والهمة التي لا تفتر في طلب رضوان الله، وفي حسن معاملته سبحانه وتعالى، وقوة الإرادة على توطين النفس على عدم التقصير في شيء من حقوق الله.

أي تسأل الله يملئ قلبك بالارادات الجادة التي تنفعك في دينك ودنياك (إن الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البر).

والرُّشْدُ: خلاف الغي، وهو الصلاح والفلاح، والصواب.

ولا صلاح ولا فلاح إلا بطاعة اللَّه وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لذلك كان من أعظم عطايا الله للعبد، أن يحبب له الطاعة، ويبغض له المعصية، يلهمه رشده ويقيه شر نفسه.

كما قال اللَّه تعالى: "وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ"[الحجرات:7]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: "مَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسولَهُ، فقَدْ رَشَدَ، وَمَن يَعْصِهِمَا، فقَدْ غَوَى". صحيح مسلم

سؤال اللَّه تعالى عزيمة الرشد، هو سؤال الجد في الأمر، بحيث ينجز كل ما هو رشد من أموره في أمور معاشه وآخرته، فإن الإنسان قد يعلم الرشد، وليس له عليه عزيمة، فإذا عزم على فعله أفلح.

مثال: يعلم عن فضل صلاة الضحى وصلاة القيام وصوم النوافل، لكنه لا يعزم ويحول العلم الى عمل فيبقى يسوف ويسوف وهذا العاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

ولا قدرة للعبد على تحويل العلم إلى عمل، إلا بإعانة اللَّه له؛ فلهذا كان من أهم الدعاء سؤال اللَّه تعالى العزيمة على الرشد؛ ولهذا علَّم النبي -ﷺ- أحد الصحابة أن يقول: "اللَّهمَّ قِني شرَّ نفسي واعزِم لي على أرشَدِ أمري"

فالعبد يحتاج إلى الاستعانة بالله، والتوكل عليه في تحصيل العزم قال الله تعالى:(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران:159]

فهناك من الناس لا يعزم الا بما تهوى الانفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى، إرادات للأكل، واللهو واللعب، فهذا الغافل لا يحركه إلا الهوى.

قال الله تعالى: "قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَي"، فمن لم يكن رشيداً، فهو: إما غافل، أو ضال.

والعزم نوعان:

الأول: عزم المريد على الدخول في الطريق، وهو من البدايات.

يحصل للعبد بها الدخول في الخير، والبعد عن شر، يخرج من الكفر، ويدخل في الإسلام، ويخرج من المعصية ويدخل في الطاعة.

والثاني: العزم على الاستمرار على الطاعات بعد الدخول فيها، وعلى الانتقال من حال كامل، إلى حال أكمل منه وهو من النهايات، ولهذا سمَّى الله تعالى خواصّ الرسل أولي العزم، وهم خمسة، وهم أفضل الرسل.

فهذه العزيمة الصادقة، التي يخالف بها النفس والهوى والدنيا والشيطان، يفعل الأمر ويترك النهي ويفعل المستحب ويترك المكروه، ويترك المباح الذي يشغله عن الآخرة.

وعون الله للعبد على قدر قوة عزيمته، أو ضعفها فمن عزم على فعل الخير أعانه، وثبّته.

ومن صَدَقَ العزيمة يئس منه الشيطان، ومتى كان العبد متردداً طمع فيه الشيطان وسوّفه، ومنَّاه.

سُئل بعض السلف متى ترتحل الدنيا من القلب؟ قال: إذا وقعت العزيمة ترحّلت الدنيا من القلب، ودرج القلب في ملكوت السماء، وإذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب، ورجع إلى الدنيا.

وأهل الفضل قد يقع منهم فتور، لكن لما يقع منهم فتور أو خلل في المأمور، يرجعون لنفس الخلل ويعالجونه.

أعظم دواء للفتور واختلاط النيات في العزائم: هو الاستغفار (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) [الأعراف:201]

يتذكّروا الخلل فيُبْصِروا، ويبادروا إلى سدّه والعَود إلى وليّهم ومولاهم، ولزوم الصراط المستقيم.

أسباب تسبب ضعف العزيمة على الرشد:

❶معرفة الباطل وإيثاره على الحق، فالجاهل لما يعرف، يكون قريب الاتباع، ولا يبقى له سوى العزيمة على الرشد، لكن الناس الذين يعلمون الحق ويؤثروا الباطل عليه، هؤلاء يصعب عليهم شهوتهم، فيتركون الحق لقوة شهوتهم، (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ...) [الأنفال:24]

❷عدم تزكية القلب، فقد يكون عند الشخص معرفة تامة، إلا أن المحل المستقبل للمعرفة ليس زاكيًا (وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ...) [الأنفال:23].

❸ قسوة القلب؛ وسبب ذلك كثرة الذنوب والمعاصي والشهوات والاشتغال بالدنيا، وهذا القلب لا قوة فيه ولا عزيمة (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [الزمر:45].

❹ الحسد والكبر، "الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ" سببًا مانعًا من الثبات على الطريق.

❺محبة الدار والوطن والأهل والأقارب والعشيرة، فكل هذا يجعل الإنسان لا يعزم على عزيمة الرشد؛ لأنه يخالف الطباع والعادات... لكن من كان له نية رشد حقيقية يريد بها التقرب إلى الله، يعينه الله لتغلب على الطباع والعادات، بل يجد في قلبه ما يجعل دفع كل هذا سهل.

❻ إهمال الإنسان لقلبه يتشتت في محبة الدنيا فلا يجد له بعد ذلك عزمًا، "قل اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي".

وقوله صلى الله عليه وسلم ((وأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ)):

وهي ما أوجبت لقائلها الرحمة أي: نسألك من الأفعال، والأقوال، والصفات التي تتحصَّل بسببها رحمتك، والتي توجب بها.

وأعظم الرحمات الجنة، كما قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [آل عمرآن:107]

وسأذكر بعض الاعمال التي توجب الرحمة للعبد في الدنيا والآخرة الجنة والتي أعظمها الجنة أذكر بعض الامثلة:

حسن الخلق: قال -ﷺ-: «إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلامِ، وَحُسْنُ الْكَلامِ» صحيح الجامع

الصدقة: قال -ﷺ-: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» رواه البخاري ومسلم.

قال -ﷺ-: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كَالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أوِ القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ». صحيح بخاري

العلم والتعلم: قال -ﷺ-: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وملائِكتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِ، حتى النملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليُصلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ» صحيح الجامع

زيارة المريض قال -ﷺ-: « مَن عادَ مريضًا، أو زارَ أخًا لَهُ في اللَّهِ ناداهُ مُنادٍ: أن طِبتَ وطابَ مَمشاكَ وتبوَّأتَ مِنَ الجنَّةِ منزلًا» صحيح الترمذي

وقوله-ﷺ-: ((وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ)):

العزائم: جمع عزيمة: وهي عقد القلب على إمضاء الأمر، أي أسألك أن ترزقنا من الأعمال والأقوال والأفعال التي تعزم، وتتأكد بها مغفرتك.

ومن الامثلة على الاعمال التي يمحوا الله بها الخطايا:

الوضوء: أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال: "إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ، أَوِ المُؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِن وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بعَيْنَيْهِ مع المَاءِ، أَوْ مع آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِن يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مع المَاءِ، أَوْ مع آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ

كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مع المَاءِ، أَوْ مع آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ". صحيح مسلم

❍قراءة آية الكرسي: عن أبي أمامه رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: " مَنْ قرأَ آيةَ الكُرسِيِّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ، لمْ يمنعْهُ من دُخُولِ الجنةَ إلَّا أنْ يمُوتَ "صحيح الجامع

❍عند سماع الآذان: من قالَ: "رَضيتُ باللَّهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبِمُحمَّدٍ رسولًا" وجَبت لَهُ الجنَّةُ. صحيح أبي داود

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن رسول الله -ﷺ- قال: " مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ، رَضِيتُ باللَّهِ رَبًّا وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا، وبالإسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ له ذَنْبُهُ " رواه مسلم

❍قول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه: قال رسول الله -ﷺ-: "من قال أستغفرُ اللهَ الَّذي لا إلهَ إلَّا هو الحيَّ القيُّومُ وأتوبُ إليه غُفِر له وإن كان فرَّ من الزَّحفِ" الترغيب والترهيب

❍مجالس الذكر: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:" مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إلا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، فَقَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ " السلسلة الصحيحة

🗁وهذان المطلبان المغفرة والرحمة قد تقدما كثيراً في أدعية القرآن، وكذلك السنة؛ لأن في المغفرة التخلية من كل الذنوب وتبعاتها، وهي التصفية، والتنقية من آثارها وشؤمها في الدنيا والآخرة، والرحمة تحلية، التي تتحصل بمقتضاها النعم، والآلاء ومن أجلها النعيم المقيم، في جنات النعيم.

🖂فالاغتسال والتنظف من الذنوب عزائم مغفرتك ثم وضع الطيب وهو موجبات الرحمة وبهذا تنال القرب والرفعة

قوله-ﷺ-: ((وأسألُكَ شكرَ نعمتِكَ)):

🖂أي أسألك التوفيق لشكر نعمك التي لا تُحصى؛ لأن شكر النعمة يوجب مزيدها، وحفظها، واستمرارها على العبد، كما قال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[إبراهيم: 7]

🗒الشكر: هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وإضافة النعم إلى موليها، والثناء على المنعم بذكر إنعامه، وعكوف القلب على محبته، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره والثناء عليه.

❍والشكر يكون: بالقلب، واللسان، والأركان.

✿فالشكر بالقلب: بالاعتقاد الجازم أن النعم جميعها من الله وذكرها، وعدم نسيانها.

✿والشكر باللسان: الثناء، والحمد بالنعم، وذكرها، وتعدادها، والتحدث بها.

✿والشكر بالأركان: أن يستعان بنعم الله تعالى على طاعته، وأن يجنب في استعمالها في شيء من معاصيه.

قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا شَاكِرًا ، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ صَابِرًا وَلا شَاكِرًا ، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ ، كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا شَاكِرًا ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ صَابِرًا وَلا شَاكِرًا " .الترمذي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ": " يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ، وَتَرْأَسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ "رواه احمد

نـزلت (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ: (لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قالوا: يا رسول الله، عن أيّ النعيم نسأل ، وإنما هو الأسودان: الماء، والتمر، وسيوفنا على عواتقنا، والعدوّ حاضر! قال: " إن ذلكَ سَيَكُونُ" .

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ أَوْ تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) صحيح البخاري

المؤمن شاكر في جميع الاحوال في السراء والضراء.

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما أصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم: أولها: أنها لما تكن في ديني والثانية أنها لم تكن أعظم والثالثة أن الله تعالى يجازي بها الجزاء الكبير وتلا رضي الله عنه (أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)

الضراعة إلى الله تعالى بأن يوزع عبده الضعيف شكر نعمته قال تعالى عن سليمان عليه الصلاة والسلام كيف كان يتذلل لله بالدعاء طلباً للإعانة على الشكر : ((رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)) [النمل :19] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله -ﷺ-: "إنَّ أوَّلَ ما يُسألُ عنه يومَ القيامةِ - يعني العَبدَ- من النَّعيمِ أن يُقالَ له: ألم نُصِحَّ لك جِسْمَك ونَروِيَك من الماءِ الباردِ "صحيح الترميذي

عدم شكر النعمة سبب لزوالها

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: عليكم بملازمة الشكر على النعم فقلَّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم.

قال كعب الأحبار- رحمه الله تعالى: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة.

قال ابن المنكدر يا أبا حازم، ما أكثر من يلقاني، فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيراً قط؛ قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك، ولكن انظر الذي ذلك من قبله، فاشكره؛ وقرأ ابن زيد: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً} [مريم:96]. حلية الأولياء

كان محمد - بن المنكدر - يقوم من الليل، فيتوضأ، ثم يدعو، (فيحمد الله عز وجل، ويثني عليه، ويشكره، ثم يرفع صوته بالذكر؛ فقيل له: لم ترفع صوتك؟ قال: إن لي جارا يشتكي، يرفع صوته بالوجع، وأنا أرفع صوتي بالنعمة). حلية الأولياء

السبيل الى شكر النعمة النظر الى من هم اسفل منا قال النبي -ﷺ-: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ هو أَسفَل مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكُم؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَن لا تَزْدَرُوا نعمةَ الله عَلَيْكُمْ "متفق عليه

قوله-ﷺ-: ((وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)):

يكون بإتقانها، والإتيان بها على أكمل وجه، ويكون ذلك على ركنين:

1- الإخلاص لله تعالى فيها.

2- والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأعظم مقام في العبادة (الإحسان): قال النبي -ﷺ-: حينما سأله جبريل عن الإحسان، "الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يَراك" صحيح الجامع

فأشار إلى مقامين:

أحدهما: أن يعبد الله تعالى مستحضراً لرؤية الله تعالى إياه، ويستحضر قرب الله منه، واطّلاعه عليه، فيخلص له العمل، ويجتهد في إتقانه، وتحسينه.

والثاني: أن يعبده على مشاهدته إياه بقلبه، فيعامله معاملة حاضر لا معاملة غائب.

قراءة الفاتحة، والخشوع والتذلل، واستحضار الحوار الذي يدور بين العبد والرب، وهذا ما علمنا رسول الله صلى الله عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله تعالى : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجدني عبدي ، وقال مرة : فوض إلي عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)

فينبغي للداعي حينما يدعو ربه تعالى المجيب أن يستحضر هذه المعاني.

قوله-ﷺ-: ((وأسألك قلبًا سليمًا)):

هو القلب النقي من الذنوب، والعيوب، السليم من الشرك الجلي والخفي، ومن الأهواء والبدع، ومن الفسوق والمعاصي: كبائرها، وصغائرها، الظاهرة، والباطنة، كالرياء، والعجب، والغِلِّ، والغش، والحقد، والحسد، وغير ذلك، وهذا القلب السليم هو الذي لا ينفع يوم القيامة سواه، قال الله تعالى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ *إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"

فإذا سلم القلب لم يسكن فيه إلا الرب تبارك وتعالى.

تأملوا في هذا الدعاء الجامع النافع الذي سماه الرسول كنز وهو كذلك، فإذا استجاب الله دعائك وسلم قلبك سلمت في الدنيا والاخرة.

ابراهيم يخشى على قلبه يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام، (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) [إبراهيم:35-36]

مع هذه المنزلة العظيمة التي نالها إبراهيم عليه السلام من ربه، ومع أنه قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده، وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك حتى ألقي في النار، مع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولهذا قال بعض السلف: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟"، فإبراهيم خاف على نفسه الوقوع في الشرك لما رأى كثرة وقوعه في الناس، وقال عن الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ﴾.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وارضاه يخاف على قلبه من لنفاق، ذكر ابن القيم في كتابه القيم "الداء والدواء" أنَ عُمَر بْن الْخَطَّابِ كان يَقُولُ لِحُذَيْفَةَ: "أَنْشُدُكَ الله، هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللهِ * يَعْنِي فِي الْمُنَافِقِينَ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَلَا أُزَكِّي بَعْدَكَ أَحَدًا".

قوله-ﷺ-:((ولساناً صادقاً)):

أي محفوظاً من الكذب، والإخلاف بالوعد، سأل الله تعالى لساناً صادقاً؛ لأنه من أعظم المواهب، وأجلّ المنح والرغائب؛ فإنه أول الطريق إلى درجة الصدّيقيَّة التي هي أعلى الدرجات بعد الأنبياء، (فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا))[متفق عليه]

وللصدق معانٍ كثيرة واوجبها واهمها الصدق مع الله تعالى، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: [ليس شيء أنفع للعبد من صدق ربه في جميع أموره، مع صدق العزيمة، فيصدقه في عزمه وفي فعله قال تعالى: (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ)، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل .... ومن صدق الله في جميع أموره صنع له فوق ما يصنع لغيره.

انظر إلى هذا الرجل الأعرابي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا وهاجر معه فلما كانت غزوةٌ غنم فيها النبي غنائم فقسمها وجعل له نصيبا، قَالَ: ما علَى هذا اتَّبعتُكَ، ولَكِنِّي اتَّبعتُكَ على أن أرمى إلى ههُنا، وأشارَ إلى حَلقِهِ بسَهْمٍ، فأموتَ فأدخلَ الجنَّةَ فقالَ: إن تَصدقِ اللَّهَ يَصدقكَ، فلبِثوا قليلًا ثمَّ نَهَضوا في قتالِ العدوِّ، فأتيَ بِهِ النَّبيُّ يحملُ قد أصابَهُ سَهْمٌ حيثُ أشارَ، فقالَ النَّبيُّ: أهوَ هوَ؟ قالوا: نعَم، قالَ: صدقَ اللَّهَ فصدقَهُ". صحيح النسائي

فقد حذر الله عباده من ضد ذلك وبين سوء العاقبة لمن وقع فيه حيث قال تعالى :(وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِين فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُون فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُون) [التوبة :75-77]

الصادقين جزائهم يوم القيامة فقد قال الله عز وجل (قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [المائدة:119]

قوله-ﷺ-:((وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ)):

هذا سؤال جامع لكل خير ما علمه العبد، وما لم يعلمه، فما من خير إلا وقد دخل فيه؛ من خير الدنيا والآخرة، لهذا أسنده إلى ربه تعالى العليم، الذي وسع علمه كل شيء، في العالم السفلي والعلوي، ((وهذا السؤال العام بعد سؤال تلك الأمور الخاصة من الخير، هو من باب ذكر العام بعد الخاص)).

قوله-ﷺ-:((وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ)):

وهذه الاستعاذة شاملة من كل الشرور: صغيرها، وكبيرها، الظاهر منها، والباطن، حيث قيد الاستعاذة من الشرور الذي يعلمها سبحانه؛ لأن الرب تبارك وتعالى يعلم كل شيء، وهذا في غاية التلطف، والأدب، والتعظيم للرب حال الدعاء.

كما كان يقول -ﷺ-:" اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ". صحيح الجامع

قوله-ﷺ-:((وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ)):

ختم الدعاء بطلب الاستغفار الذي عليه المعوَّل، والمدار؛ فإنه خاتمة الأعمال الصالحة، كما في كثير من العبادات.

وهذا الاستغفار يعمّ كل الذنوب التي عملها العبد في الماضي، والحاضر، والمستقبل، ((فإن من الذنوب ما لا يشعر العبد بأنه ذنب بالكلية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: ((يا أبا بكر لَلشرك فيكم، أخفى من دبيب النمل...))، ومن الذنوب ما ينساه العبد، ولا يذكره وقت الاستغفار، فيحتاج العبد إلى استغفار عام من جميع ذنوبه، ما علم منها، وما لم يعلم، والكل قد علمه الله، وأحصاه)).

ثم ختم دعاءه، بأحسن ختام، من صفات الله تعالى العظام

((إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)):

وقال الخطابي: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق.

قال بن منظور: لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان.

وقال السعدي: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

نتوسل إلى الله باسم من أسمائه المضافة، التي تدل على سعة العلم، فإن (علّام) صيغة مبالغة لكثرة العلم وشموله، فهذا توسّل جليل، لهذا المقام العظيم، فيه غاية الأدب والتعظيم، للرب الجليل، وذلك أنه أكّده بـ(إنَّ) وضمير الفصل (أنت) الذي يفيد التأكيد والحصر والقصر، في اختصاص رب العالمين بالعلم الواسع، عَالِمٌ بِمَا خَفِيَ وَبِكُلِّ الأَسْرَارِ وَبِمَا سَيَحْدُثُ ومن ضمنه ذلك الداعي السائل لهذه المطالب العلية، في الدين، والدنيا، والآخرة.

وصية رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، إذا اكتنز الناس الذهب والفضة أكنزوا هؤلاء الكلمات، لأنهن كنز ثمين، إذا استجاب الله دعائك حصلت على أعظم لذة في الحياة، الا وهي القرب من الرحمن، وطار قلبك من الفرح حين تعلم أن الله معك.

ما أعظم هذه الكلمات وهذه الدعوات، من المقاصد، والمطالب، والمضامين المهمّة؛ لذا أمر صلى الله عليه وسلم باكتنازها؛ لأنها هي الكنز الحقيقي الذي ينمو في ازدياد من الخير في الدار الدنيا، والادخار في الدار الآخرة.

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبَاً سَلِيمَاً، وَلِسَانَاً صَادِقَاً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ". السلسة الصحيحة

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.